الباب الثاني :

مصادر الكتاب ومنهجه .

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول : مصادر ياقوت في كتابه .

المصدر عند أهل اللغة :

أصل الكلمة الذي تصدر عنه الأفعال[١] .

و المصدر بالنسبة إلى علم التراجم : هو ذلك المنهل أو النبع الذي يستقي منه المترجم مادة كتابه ، والنبع هو تلك المؤلفات التي كتبت قبله وتناولت تراجم العلماء الذي يريد ترجمتهم ، أو المؤلفات التي تخدم تراجمه ككتب النقد والدواوين الشعرية وكتب التاريخ وغير ذلك من المجالات التي تضفي بعض النور على الترجمة ، وتثري الترجمة .

وياقوت الحموي أحد العلماء الذين تميزوا عن غيرهم بالقدرة العالية إلى الوصول للكتب التي ينقل منها مادته ، وهذه المعرفة لم تأته إلا بكثرة الاطلاع والقراءة ، كما ساعده عمله بنسخ الكتب فترة غير قصيرة ، وكذا اشتغاله بتجارة الكتب ، ولا نغفل - كذلك - كثرة سفره وترحاله في كل البلاد الإسلامية تقريبا ، والذي فتح له الباب كي يقابل كثيرا من العلماء في كل المجالات في الأدب والشعر واللغة والفقه والطب ، ويقرأ في كثير من المكتبات والخزانات .

وكان يتحرى الدقة ، ويتعامل بوعي ويقظة بالغة في مصادر كتابه ، وكان ينتقي لنفسه المصدر الذي يريد أن ينقل منه ، هذا إن كان المصدر نقليا ، كان - كذلك - يتحرى الدقة إن كان مصدره سمعيا ، فكان لا يسمع إلا ممن هم ثقة واتفق الناس على صدقهم وأمانتهم ، وكون القائل من أحد أبناء من يريد أن يكتب عنه في معجمه كان كافيا لياقوت وكذلك كونه أحد أقاربه ، أو من تلاميذه المقربين ، وكان يحاول جاهدا أن يرفق في

---

(١) " لسان العرب " : ٤ / ٤٤٥ .

تراجمه بعضا من الرسائل التي كتبها الشخص نفسه ، هذا بالطبع إن كانت له رسائل تناولتها كتب التراجم و التاريخ أو توارثها الناس ونقلوها عن بعضهم بعض ، أو عرض عليه أحد العلماء الأجلاء ممن هم أهل لثقته بعض رسائل لعلم معين ، وقد ندم كثيرا عندما فاته كتابة إحداها ، وبلغ الندم به حتى كتب مقطوعة سنذكرها في خضم الحديث عن شعره .

ومقابلة الشخصية التي يترجم لها ياقوت من المصادر الهامة ، بل هي أكثر مصادره صدقا وأمانة وقد لفت ياقوت انتباهنا إلى هذا المصدر في مقدمته لمعجم الأدباء عندما تناول منهج الكتاب ، يقول :

" فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره ما لا أترك لك بعده تشوقا إلى شيء من خبره ، وأما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه ووقفني النقل عليه في ترددي إلى البلاد ومخالطتي للعباد ، وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لإثباتها سماعا وإجازة ، إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع ، أثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم ، والمرجوع في صحة النقل إليهم "(١) .

وفي مقدمة ياقوت تتضح هذه المعرفة والفطنة بالمصدر الذي يفيده من المصدر عديم الفائدة ، فمثلا الكتاب الذي ألفه أبو محمد بن عبد الملك التاريخي يقول عنه :

" هذا مع أن كتابه صغير الحجم قليل التراجم محشو بالنوادر التي رووها لا يختص بأخبارهم أنفسهم "(٢) .

ويقول في مقابل ذلك عن كتاب المقتبس للمرزباني :

---

(١) " معجم الأدباء " : ١ / ٧ .
(٢) المصدر السابق : ١ / ٦ .

" وقد وقفت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلدا ، ونقلت فوائده إلى هذا الكتاب مع أنه قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه "(١) .

وكان ياقوت يهتم بالمصادر التي تعتني بالمواليد والوفيات ، يقول :

" شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب " وقع إلي منه شيء فوجدته كثير التراجم إلا أنه قليل الفائدة لكونه لا يعتني بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار "(٢) .

فمصادر ياقوت – إذن – عديدة ، منها المصادر السمعية وأرى أنها أهم مصدر من مصادر ياقوت لصدقها ، ثم المصادر النقلية وهي تضم الدواوين الشعرية ، والمؤلفات الشخصية للشخص نفسه ، والمؤلفات التي كتبت عن صاحب الترجمة وما إلى ذلك ، ثم الرسائل فهي أيضا من مصادره الهامة والتي أبدع فيها .

فاقت مصادر ياقوت في عددها الآلاف ، وتنوعت فمنها ما له صلة وثيقة بالأدب ومنها ما ابتعد كل البعد عن مجال الأدب ؛ وذلك لأن معنى الأدباء عند ياقوت شمل اللغويين والفقهاء والمحدثين وغير ذلك كما وضح هو في مستهل حديثه عن المعجم ، لذا فكيف لنا أن نتمكن من إحصائها والوقوف عليها كلها ، خاصة وأن منها ما لم يصل إلينا ولم يخرج حتى الآن إلى النور ، فهو أما فقد أو ما زال أثيرا في خزانات المخطوطات يحتاج إلى من ينفض عنه التراب .

وأوافق دكتور الديب حين قال : " وإذا أردنا الرجوع إلى كل مصادره التي قرأها الناس مطبوعة منشورة فسوف نخرج بذلك عن صميم موضوعنا ، خاصة وأن عددا كبيرا من مصادره لا يرتبط من قريب أو بعيد بالأدب ونقده ، ولا يبقى إلا أن نتحدث عن أهم

(١) المصدر السابق : ١ / ٦ .
(٢) " المصدر السابق " : ٢ / ٦ – ٧ .

وأشهر المؤلفات التي اطلع عليها ونقل عنها ، وتكون منها نقده الأدبي ومنهجه في الحكم على النصوص الأدبية "(١) .

وكثرة هذه المصادر هو ما ساعد الحموي على أن يخرج بكتابه في هذا الشكل الموسوعي النادر ، فضم آلاف التراجم ، وملايين الكتب منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل إما لفقدانه أو لعدم وصول أيدي المحققين إليه .

(١) – المصادر السمعية :

المصادر السمعية تعني : السماع عن طريق المقابلة الشخصية ، وهذا النوع من أنواع المصادر يحتاج إلى جهد غير عادي وإلى مجهود كبير ، حيث يستلزم السفر إلى كافة البلاد حتى يتيسر له مقابلة أولئك الأشخاص ، خاصة إن كانت من الشخص صاحب الترجمة نفسه أو كانت من أحد أقاربه ، حتى وإن كانت من أحد أصدقائه المقربين ، أو من أحد تلاميذه النابغين ، وأحيانا ما يكون المصدر السمعي أكثر مصداقية من النقلي ، لكن ليست تلك الأفضلية على الدوام، فالمصدر النقلي إن كان صاحبه من المشهود لهم بالثقة والأمانة صار أكثر مصداقية ، ومن المصادر النقلية ما يكون كتب بيد الشخصية التي يترجم لها الحموي ، وهناك من المصادر السمعية ما ينقلب إلى مصدر نقلي فأحيانا يعطيه المصدر السمعي كتابا يتضمن ترجمة للشخص الذي يسأل عنه الحموي فيصير مصدرا نقليا بعد أن كان سمعيا .

فكان ياقوت يسأل الشخص نفسه عن أشياء كثيرة ، كبعض أشعاره ومؤلفاته وتاريخ ميلاده ، يقول :

(١) " ياقوت الحموي أديبا وناقدا " د . سيد الديب : ٤٣٥ .

" سألته عن مولده ، فقال : كانت ولادتي في ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة "(١) .

وإن لم يوفق في مقابلة الشخص صاحب الترجمة لوفاته أو لسفره مثلا كان يسأل أبناءه ، يقول :" سألت ولده أبا محمد عبد الله بن أحمد عنه فأعطاني جزءا بخط والده هذا وقد ضمنه ذكر نفسه وذكر ولده "(٢) ، وهذا من أمثلة المصادر السمعية التي تنقلب إلى نقلية فهذا الابن لم يحدث ياقوت عن أبيه بل اختصر الطريق واكتفى بأن يعطيه جزءا بخط والده يحتوي على ترجمة له ولأبيه .

وقال : " حدث بذلك ابنه أبو منصور علي "(٣) .

ومن سؤاله لأحد تلاميذ من يترجم لهم : سؤاله لأمين الدين ياقوت عن مصنفات ابن الدهان النحوي ، يقول :"وسألت أمين الدين ياقوت عن مصنفاته فأملى علي "(٤) .

وقد بين لنا السبب في اعتماده على ما قاله أمين الدين ياقوت عن مصنفات ابن الدهان حيث ، يقول :

" فمما أنشدت من شعره ما ألقاه إلي أمين الدين أبو محمد ياقوت الموصلي ، وكان من أعيان تلاميذه ، وسمع أكثر تصانيفه ، في مدح الفقر "(٥) .

* ولياقوت ألفاظ وعبارات معينة يثبتها في بدايات نقوله توضح لنا ما إذا كان هذا المنقول من المصادر السمعية أو النقلية ، فقوله " حدثني ، ذكر لي ، أنشدني ، بلغني أملى علي ، أنشدت له ، حكى لي ، قال لي ....." يوحي لنا بأن هذا المصدر مصدر سمعي .

(١) المصدر السابق : ١ / ١٢٨ ، ترجمة رقم ٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٤٨ ، ترجمة رقم ١٤٢ .
(٣) " معجم الأدباء " : ١ / ٩٥٨ ، ترجمة رقم ٣٣٧ .
(٤) المصدر السابق : ٣ / ١٣٧١ ، ترجمة رقم ٥٣٤ .
(٥) المصدر السابق : ٣ / ١٣٧٠ ، ترجمة رقم ٥٣٤ .

" ومما بلغني من شعره ..... " .(١)

" بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة " .(٢)

" بلغني أن كتاب الفصول أملاه عليه :..... " .(٣)

" أنشدني أبو الحسن علي ..... " .(٤)

" حدثني بعض أهل مصر عند كوني بها سنة اثنتي عشرة وستمائة " .(٥)

" أنشدني كمال الدين عمر بن أبي جرادة ... " .(٦)

" وأنشدني له يرثي الإمام مجد الدين ..... "(٧)

" أنشدني بدر الدين بن الشيرزي ..... " .(٨)

" أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .. " .(٩)

" ومن عجائب ما وقع له من الأسانيد ما أخبرنا به أيده الله ..... ".(١٠)

"مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين ..... ".(١١)

" هكذا أملى نسبه علي جماعة ..... ".(١٢)

" قال لي تاج الدين ..... " .(١٣)

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٩٥٧ ، ترجمة رقم : ٣٣٧ .
(٢) المصدر السابق : ٥ / ١٥٧٣ ، ترجمة رقم : ٨٤٠ .
(٣) المصدر السابق : ٦ / ٢٥٤٤ ، ترجمة رقم : ١٠٦٢ .
(٤) " معجم الأدباء " : ٥ / ٩٧٣ " ترجمة : ٨٤٠ .
(٥) "المصدر السابق " : ١ / ٨٦ ، ترجمة : ١٧ .
(٦) "المصدر السابق " : ٣ / ٩٧٣ ، ترجمة : ٣٤١ .
(٧) "المصدر السابق " : : ٣ / ١٣٤٠ ، ترجمة : ٥١٣ .
(٨) "المصدر السابق " : ٣ / ٩٧٣ ، ترجمة ٣٤١ .
(٩) "المصدر السابق " : ٥ / ١٩٧٣ ، ترجمة ٨٤٠ .
(١٠) "المصدر السابق " : ٣ / ١٣٣١ ، ترجمة :٥٠٤ .
(١١) "المصدر السابق " : ٥ / ١٩٦٩ ، ترجمة : ٨٣٦ .
(١٢) "المصدر السابق " : ٤ / ١٧٠٤ ، ترجمة : ٧٤٤ .
(١٣) "المصدر السابق " : ٣ / ١٣٣٣ ، ترجمة : ٥٠٤ .

(٢) - المصادر النقلية :

مما يميز صنيع ياقوت في نقل النصوص طابع الانتقاء في الموضوعات والاستشهادات والأخبار، وما ينقله من أبيات شعرية وفقرات نثرية، وكذا انتقاؤه للمصادر التي ينقل منها، فكان في جل نقوله واستشهاداته يتحرى الدقة والأمانة، وكان له في ذلك منهج خاص فهو إما :

ـ يعين المصدر والمؤلف :

فكان يعرض للمصدر الذي نقل منه ويذكر مؤلفه، يقول :

- " مات فيما ذكره علي بن بسام في " كتاب الذخيرة "..... " .(١)
- " ذكره محمد بن إسحاق في " نحاة المعتزلة "..... " .(٢)
- " ذكره ابن المرزبان في " طبقات الشعراء "..... " .(٣)
- " وقد ذكره الثعالبي في " كتاب يتيمة الدهر " ..... " .(٤)
- " قال أبو حيان في " كتاب الإمتاع " ..... " .(٥)
- " ذكره أبو الحسن البيهقي في " كتاب الوشاح "..... " .(٦)

* وفي كل تلك الشواهد بدأ ياقوت باسم المؤلف ثم اسم الكتاب، وفي مرات قليلة بدأ بالكتاب معقبا باسم المؤلف، يقول :

- " وفي " كتاب الهفوات " لابن الصابئ ..... " .(٧)

---

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ٩٩٩ ، ترجمة : ٣٥٢ .
(٢) " المصدر السابق " : ٣/ ١٠٢٨ ، ترجمة : ٣٦٣.
(٣) " المصدر السابق " : ٣ / ١٢٩٨، ترجمة : ٤٢٨.
(٤) " المصدر السابق " : ٢ / ٤٨٦ ، ترجمة : ١٧٥.
(٥) " المصدر السابق " : ٢ / ٤٩٣ ، ترجمة : ١٨٠.
(٦) " المصدر السابق " : ٢ /٥٧١ ، ترجمة : ٢١٧ .
(٧) " معجم الأدباء " : ٥ / ١٩٢٥ ، ترجمة : ٨٢٠ .

- " ومن " كتاب الوزراء " لهلال بن محسن ..... " .(١)
- " قرأت في " كتاب المحاضرات " لأبي حيان ..... " .(٢)
- " قال صاحب "كتاب فرحة الأنفس" وهو محمد بن أيوب بن غالب ".(٣)
- " في " كتاب سر السرور " لابن الفضال ..... " .(٤)
- " ونقلت من " كتاب نتف الطرف " تأليف أبي علي الحسين بن أحمد السلمي صاحب كتاب ولاة خراسان ..... " .(٥)

ومن منهجه في إثبات نقوله أنه كان يذكر الكتاب ومؤلفه بعد الانتهاء من الاقتباس ، خلافا على ما جرى عليه مصدرا كلامه عن المصدر الذي نقل منه بـ " ذكر ذلك كله " ، " ذكر ذلك " ، " قاله " ، " قال ذلك " ، يقول :

- " ذكر ذلك كله أبو محمد عبد الله بن ثيران في تاريخه " .(٦)
- " ذكر ذلك يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ له " .(٧)
- " ذكر ذلك ابنه عبيد الله فيما ذيله على تاريخ والده وحكاه عنه " .(٨)
- " ذكر ذلك كله السلفي الحافظ في السؤالات التي سألها خميسا الحوزي.(٩)
- " ذكر ذلك كله أبو محمد بن الحسين المروذباري الذي ألفه في حوادث مصر " .(١٠)

---

(١) " المصدر السابق " : ٢ /٧٨٩ ، ترجمة : ٢٨٤ .
(٢) " المصدر السابق " : ٢/ ٧٨٩ ، ترجمة : ٢٨٤ .
(٣) " المصدر السابق " : ٤ / ١٨٠٨ ، ترجمة : ٧٨٣ .
(٤) " المصدر السابق " : ٤ / ١٨٣٧ ، ترجمة : ٧٩٧ .
(٥) " المصدر السابق " : ١ / ٢٥٤ ، ترجمة : ٨٠ .
(٦) " المصدر السابق " : ٦ / ٢٤٧١ ، ترجمة : ١٠١٤ .
(٧) " المصدر السابق " : ٦ / ٢٥٢١ ، ترجمة : ١٠٣٧ .
(٨) " معجم الأدباء " : ١ / ٢٨٢ ، ترجمة : ٩٤ .
(٩) " المصدر السابق " : ٢ / ٦٤٦ ، ترجمة : ٢٣٤ .
(١٠) " المصدر السابق " : ٢ / ٨٠٠ ، ترجمة : ٢٦٣ .

- " ذكر ذلك كله أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق " .(١)
- " قاله ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته " .(٢)
- " قال ذلك أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب بغداد " .(٣)
- " ذكر ذلك كله الحاكم في تاريخ نيسابور " .(٤)
- " ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره ووسمه بالأنموذج ، فقال في آخره " .(٥)

ـ يعين المؤلف فقط :

وياقوت عندما ينقل من مصدر معين يذكر اسم المؤلف وكتابه في كثير من الأحيان وعند معاودة الاقتباس من نفس المصدر لا يذكر اسم الكتاب بل يكتفي بذكر اسم المؤلف من أمثلة ذلك :

" قال أبو حيان في كتاب أخلاق الوزيرين من تصنيفه " .(٦)

هذا ما أثبته ياقوت في بداية نقله ، وعندما أراد أن يقتبس مرة أخرى من نفس المصدر اكتفى بذكر المؤلف فقط قائلا :

- " وحدث أبو حيان قال " .(٧)
- " قال أبو حيان " .(٨)

---

(١) " المصدر السابق " : ٢ / ٩٣٣ ، ترجمة : ٣٢٩ .
(٢) " المصدر السابق " : ٣ / ١٤٢٣ ، ترجمة : ٥٩٢ .
(٣) " المصدر السابق " : ٢ / ٩٣٠ ، ترجمة : ٣٢٦ .
(٤) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٢٩٦ ، ترجمة : ٩٤٦ .
(٥) " المصدر السابق " : ٢ / ٨٦٢ ، ترجمة : ٣١٧ .
(٦) " معجم الأدباء " : ٥ / ١٩٣٣ ، ترجمة : ٨٢٠ ، وانظر " أخلاق الوزيرين " أبو حيان التوحيدي : ١٤١ ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق – سوريا ، ١٩٦٥م .
(٧) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٣٣ ، ترجمة : ٨٢٠ ، " أخلاق الوزيرين : ٢٢٢ .
(٨) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٣٤ ، ترجمة : ٨٢٠ ، " أخلاق الوزيرين : ٣٠٥ .

وأحيانًا لا يذكر اسم المؤلف أيضا وإنما يكتفي بقوله " قال " ، ومن ذلك في نفس الترجمة ونفس الاقتباس من كتاب " أخلاق الوزيرين " لأبي حيان بعد أن ذكر بداية اسم الكتاب ومؤلفه ، قال : – " قال وقال لي يوما آخر " .(١)

هذا عندما ينقل ياقوت من مصدر واحد نقولا متتابعة ، أما إن تخلل الترجمة مصادر أخرى لنفس المؤلف ، فإنه لا يكتفي بذكر المؤلف فقط ، بل يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب خوفا من الالتباس وتحريا في الدقة والأمانة التي دائما ما يتسم بها ياقوت على مدار كتابه ، من ذلك اقتباسه من " كتاب المحاضرات " لأبي حيان التوحيدي " ، **يقول :**

" قال أبو حيان في كتاب المحاضرات " .(٢)

وكتب ما أخذه من كتاب " المحاضرات " ، ونقل أيضا من كتاب " أخلاق الوزيرين " للمؤلف نفسه – أبي حيان التوحيدي – فقرات عديدة متتابعة، يقول :

_ " قال أبو حيان في كتاب أخلاق الوزيرين من تصنيفه "(٣) .

وأخذ من كتاب " أخلاق الوزيرين " فقرات عديدة ، ولم يذكر المؤلف والكتاب ، بل اكتفى بقوله : " قال أبو حيان " وصدرها لكل نقوله عن هذا الكتاب.

ولما أراد أن يعود إلى كتاب " المحاضرات " مرة أخرى ذكر اسم المؤلف_ أبي حيان _ واسم كتابه حتى لا يختلط الأمر على القارئ ، لأنه لو قال مثلا " قال أبو حيان " دون ذكر الكتاب لظن من يقرأ الترجمة أن هذه الفقرات من كتاب " مثالب الوزيرين " علما بأنها من كتاب " المحاضرات " ، لذلك نجد ياقوتا يذكر الكتاب والمؤلف ، قائلا :

" ومن كتاب المحاضرات لأبي حيان " .(٤)

---

(١) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٣٤ ، ترجمة : ٨٢٠ ، أخلاق الوزيرين : ٣٠٧ .
(٢) " معجم الأدباء " : ٥ / ١٩٢٥ ، ترجمة : ٨٢٠ .
(٣) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٣٣ ، ترجمة : ٨٢٠ .
(٤) "المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٤ ، ترجمة : ٨٢٠ .

* وفي حالة وجود مصدر واحد للترجمة فإن ياقوتا يذكر اسم الكتاب مرة واحدة فقط وتكون في بداية الترجمة ، أما في باقي الترجمة فإنه يكتفي بذكر المؤلف وأحيانا لا يذكر حتى اسم المؤلف بل يقول " قال " ، ومن ذلك ما حدث في ترجمته لأبي الحسن حيث اعتمد على كتاب " المفاوضة " وهو من تأليف أبي الحسن ، وقد ترجم فيه لنفسه ، وفي هذا دليل على أن ياقوتا يتخير المصدر المناسب للترجمة حيث اختار الكتاب الذي ترجم فيه الرجل لنفسه ، يقول :

" ذكر في كتابه الذي صنفه وسماه كتاب المفاوضة حاكيا عن نفسه "(١).

هذا ما ذكره ياقوت في بداية الترجمة ليثبت المصدر الذي اقتبس منه ، وعندما أراد ياقوت الاقتباس مرة أخرى من نفس المصدر ذكر اسم المؤلف فقط قائلا :

- " قال : وكتب إلي أبو عبد الله ..... "(٢).
- " وحدث ابن نصر في كتابه حاكيا عن نفسه " .(٣)
- " وحدث ابن نصر قال ..... " .(٤)
- " قال ابن نصر ..... " . (٥)
- " قال أبو الحسن علي بن محمد بن نصر ... " . (٦)
- " قال أبو الحسن ..... " . (٧)

وكان في حالات كثيرة يكتفي بقوله : " قال "(٨) دون ذكره اسم المؤلف .

---

(١) " معجم الأدباء " : ٥ / ١٩٤٦ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٢) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٧ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٣) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٧ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٤) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٨ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٥) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٩ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٦) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٥١ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٧) " المصدر السابق " : ٥/ ١٩٥٤ ، ترجمة : ٨٢١ .
(٨) " المصدر السابق " : ٥ / ١٩٤٧، ترجمة : ٨٢١ .

كما كان يكتفي بذكر المؤلف فقط دون كتابه ، وذلك إن كان الكتاب مشهورا ، على سبيل المثال ، قوله : " وذكره محمد ابن إسحاق في كتابه ....." (١) .

يقصد كتاب " الفهرست " لابن النديم وهو من أشهر كتبه .

" قال ابن عساكر في كتابه ....." (٢) .

يقصد كتاب " تاريخ دمشق " وهو من أشهر كتب ابن عساكر .

ومن العيوب التي وقع فيها ياقوت في ذكره للمصادر ذكره اسم المؤلف فقط ، وهذا المؤلف ليس من الكتاب ذائعي الصيت ، كابن عساكر وابن النديم مثلا ، مما يؤدي إلى الوقوع في الشبهات ، فنعجز عن تحديد المصدر الذي أخذ منه ياقوت ، ومن التقصير في باب إثبات المصدر أنه أحيانا ما كان ينقل دون ذكر راوي الخبر ، فيظن القارئ أن هذا الكلام كلام ياقوت وما هو بكلامه ، وسبق أن وقع محقق الكتاب في تلك الشبهة حتى وقف على راوي الخبر وذلك في معرض حديثنا عن تاريخ ميلاد ياقوت ، كما وقع أستاذنا الدكتور إحسان عباس في هذه الشبهة مرة أخرى واعتقد أن هناك خطأ في تاريخ ميلاده لأن ياقوتا لم يذكر لنا من أي الكتب أخذ ، فظن دكتور إحسان أنه كلام ياقوت ، إلى أن أثبت البحث أن هذا لم يكن كلامه بل نقله من غيره ، والخطأ لم يكن من دكتور إحسان بل العيب كل العيب على الحموي فلم يكن على القدر الكافي من الأمانة في نقله ، من أمثلة ذلك : وجدت في أخبار رواها أبو الجزائر الواسطي ، قال.... " (٣)

" قرأت في كتاب من إملاء النجيرمي..... " . (٤)

" قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب ....." . (٥)

---

(١) معجم الأدباء : ٢ / ٥٢١ ، ترجمة : ٢٠٠ .
(٢) " المصدر السابق " : ٢ / ٥٣٤ ، ترجمة : ٢٠٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٨٨ ، ترجمة : ١٧ .
(٤) " المصدر السابق " : ١ / ٨٨ ، ترجمة : ١٧ .
(٥) " المصدر السابق " : ٣ / ١٣٨٠ ، ترجمة : ٥٥٤ .

(٣) - الرسائل :

* من المصادر - النقلية - التي اعتمد عليها ياقوت : الرسائل ، وذلك لما تحمله بين طياتها من قدرة الشخص على الكتابة ، كما توضح ما في قريحته الذهنية من ثروة لغوية وحسن تعبير ، بل منها ما يرسم لنا صورة عن العصر الذي عاش فيه كاتبها ، ومن أمثلة الرسائل التي وردت في معجمنا تلك الرسائل التي كانت بين ياقوت وبين القفطي ، ورسائل أبي العلاء المعري ، وأبي إسحاق الصابي التي كتبها ومدح فيها أبي العلاء المعري ، وكذلك رسالة الواسطي في مآخذه على قصيدة لابن النابلسي إلى غير ذلك من الرسائل التي وردت في الكتاب .

والرسائل مهمة في معرفة الحالة الاجتماعية والأدبية والسياسية والاقتصادية في العصر الذي كتبت فيه ، وكذلك مهمة في معرفة ما دار بين أدباء العصر الواحد من مشادات واستدراكات على بعضهم بعضا .

لم ينقل ياقوت هذه الرسائل إلا لعلمه بمدى أهميتها في بيان الهوية الأدبية لمن يترجم لهم ، بل ترسم صورة واضحة للعصر الذي عاش فيه صاحب الترجمة ، فمن خلال الرسائل قد يستطيع القارئ أن يحكم على صاحب الترجمة ، فليس بالشعر فقط تتبين شخصية الأديب ، بل للرسائل دور كبير في هذا أيضا ، كما أن الرسائل قد تحتوي على أبيات كثيرة لكاتبها أو لغيره ، وبكلاهما تتضح قدرته الأدبية ومدى ثقافته ، وتظهر بضاعته اللغوية وفي هذا يقول ياقوت :" وها أنا أكتب منها ما سنح لتعرف قدر بضاعته ومغزى صناعته نظما ونثرا ".(١)

وياقوت في حال رؤيته أن الرسالة غير مفيدة ولن تضيف شيئا إلى الترجمة يكتفي بالإشارة إلى المكان الذي وردت فيه هذه الرسالة .

---

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٠٠٠ ، ترجمة : ٣٥٢ .

" وله رسالة في مدح البخل أرسلها إلى بني عمه .....وقد أورد هذه الرسالة الجاحظ في كتاب البخلاء وقد تجنبنا الإطالة بذكرها ."(١)

وفي الحقيقة لم يغفل كل من كتب عن ياقوت ومعجمه الرسائل باعتبارها مصدرا مهما جدا من مصادر كتابه .

يقول د : هاني العمد : " أما مصادر ياقوت فكانت متعددة الأشكال من ذلك : الرسائل الخاصة التي كان يتلقاها من علماء الوقت من المشتغلين بالعلم والأدب ، فيأخذ منها الفوائد والأخبار المنتخبة ، كما كان يطلع على الرسائل المتبادلة بين العلماء والأدباء ".(٢)

ويقول د : السيد محمد الديب : " اعتمد ياقوت على عدة رسائل في جمع مادته العلمية لتأليف هذه الموسوعة الكبيرة في تراجم الرجال أولها : الرسائل الخاصة التي كان يتلقاها من العلماء في ذلك الوقت ، فالمعروف عن ياقوت أنه صاحب موهبة وفن في كتابة الرسائل ، فهو يكتب إلى معارفه المشتغلين بالعلم والأدب ويتلقى الرسائل التي يأخذ منها الفوائد والأخبار التي يضمها لتراجمه عن الرجال ، كما كان يطلع على الرسائل المتداولة بين الأدباء يتلقى منها ما يفيده من أخبار ، وكان ينقل بعضها رغم إفادته منها "(٣)

فمن الرسائل التي جسدت حقبة مهمة في تاريخ الإسلام عامة والدولة العباسية خاصة تلك الحقبة التي هجم فيها التتار على الدولة الإسلامية ودخلوا خوارزم ودمروها تلك - الرسالة التي كتبها ياقوت إلى القاضي الأكرم يوسف بن إبراهيم القفطي .

وفي كثير من الأحيان تؤيد بعض الرسائل خبرا كتبه ياقوت في كتابه فيضطر إلى نسخها ليبرهن على صحة كلامه ، ومن تلك الرسائل الرسالة التي أوردها في ترجمة

(١) " المصدر السابق " : ٣ / ١٤٠٩ ، ترجمة : ٥٧٩ .
(٢) " مصادر المكتبة العربية في اللغة والأدب والمعاجم والتراجم " : ٢ / ٣٩ ، ط : ١٩٩٩م عمان الأردن .
(٣) " ياقوت الحموي أديبا وناقدا / السيد محمد ديب " : ١٨٥ ، ط : دار الطباعة المحمدية ، القاهرة / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

الأبيوردي ، والتي تدل على خبر نقله من تاريخ منوجهر بن أسفر وفيه : " أنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك بن نظام الملك فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن منوجهر ألزمه أن يهجوه ففعل فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر ، فأبيح دمه فهرب إلى همذان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر ".(١)

ثم يقول عن تلك الرسالة التي وجدها - وفيها دليل على صحة الخبر السابق - :

" ووجدت بعد ذلك رسالة كتبها إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله يعتذر، تدل على صحة ما نسب إليه من الهرب من بغداد ، نسختها ".....(٢)

وفي هذا دليل على أن ياقوتا في نسخه للرسائل لم يكن عابثا ، بل كان مؤرخا حاذقا عالما بما يضيف لترجمته منها ، وما ليس ذو أهمية .

وكذا ما لخصه ياقوت من رسالة لابن أبي عمران إلى المعري ، وقد وقف ياقوت على مجلد فيه عدة رسائل لابن أبي عمران إلى المعري تؤكد الخبر الذي فيه أن الله سلط على المعري هبة الله بن أبي عمران ليرجعه عما يقوله ويدخل مرة أخرى في الإسلام .

ويقول واصفا تشوقه إلى رؤية هذه الرسائل لما فيها من خدمة للترجمة :

" قال المؤلف : لما وقفت على هذه القصة اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه حتى ظفرت بمجلد لطيف وفيه عدة رسائل من أبي نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران إلى المعري في هذا المعنى ".....(٣)

وهذا دليل آخر على أهمية هذه الرسائل وإثرائها للترجمة ، بل تعد الرسائل أحد أهم ما يميز معجم الأدباء .

---

(١) " معجم الأدباء " : ٥ / ٢٣٦١ ، ترجمة : ٩٨٧ .
(٢) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٣٦٧ ، ترجمة : ٩٨٧ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٣٤٠ ، ترجمة : ١٠١ .

ومن الرسائل المهمة التي تتكلم عن حقبة ذات أثر بالغ في تاريخ الإسلام تلك الحقبة التي تنبأ فيها أناس وتأله آخرون ، كالحلاج ، والفراقري ، فالحلاج نال منه أمير المؤمنين المقتدر بالله(١) ، والفراقري نال منه الراضي بالله ، وهؤلاء القوم الذين اتبعوهم كما تخبرنا بها الرسالة قد أجمعوا : " على أنه خالقهم وربهم ورازقهم ومحييهم ، يحل فيما شاء من الصور ويحدث ما شاء من الغير ، ويفعل ما يريد ".(٢)

إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة التي أقحمت على الإسلام والمسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل قد تعدت المعتقدات إلى القول بأن الله قد حل فيمن عبدوهم ، وكان منهم ابن أبي عون الذي ترجم له الحموي في معجمه وقال فيه أنه سيء المعتقد فأورد هذه الرسالة ليدلل على سوء عقيدته .

فالرسائل إذن كانت أحد المصادر الهامة لدى ياقوت والتي لا نستطيع أن نغفلها أو نتجاهلها مهما حاولنا .

ومن الرسائل التي وردت في المعجم رسالة كتبها الصاحب إلى أبي علي الحسين بن أحمد في شأن أبي عبد الله بن حامد .(٣)

" ولابن قم رسالة كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن علي الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن ..... "(٤)

ومن الرسائل المهمة التي اعتمد عليها ياقوت كمصدر من مصادره " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري وأكثر في النقل منها في ترجمته للمعري ، ولم يتوقف عند ترجمة المعري فقط بل استفاد منها في تراجم أخرى ، يقول : " ذكر المعري في رسالة الغفران "(٥) .

(١) " معجم الأدباء " : ١ / ١٠٨ ، ترجمة : ٣١ .
(٢) " المصدر السابق " : ١ / ١٠٩ ، ترجمة : ٣١ .
(٣) " المصدر السابق " : ٢ / ٧٠٨ - ٧٠٩ ، ترجمة : ٢٤٢ .
(٤) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٣٥ – ١١٣٦ ، ترجمة : ٣٩١ .
(٥) " المصدر السابق " : ٢ / ٨١٤ .

وذكر في موضع آخر أن سبب تأليف هذه الرسالة هو أن ابن القارح كتب رسالة إلى أبي العلاء فرد عليه أبو العلاء برسالة الغفران ، ولكن ياقوت قد قصر في هذا الجانب فكان لزاما عليه إيراد ولو أجزاء من هذه الرسالة أو ذكر فحوى الرسالة فقط ، كما فعل في ترجمة محمد بن جرير بن يزيد بن كثير حيث ذكر فحوى رسائل ابن كثير دون ذكر الرسالة ، يقول : " ومن كتب أبي جعفر : رسالته المسماة بكتاب رسالة البصير في معالم الدين التي كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم فيه من الخلاف في الاسم والمسمى وفي مذاهب أهل البدع وهو نحو ثلاثين ورقة ومنها أيضا ، رسالته المعروفة بكتاب صريح السنة في أوراق ذكر فيها مذهبه وما يدين به ويعتقده " . (١)

فهذا يعد قصورا من ياقوت ومما يؤخذ عليه .

وتعد ترجمة أبي العلاء المعري من التراجم الزاخرة بالرسائل . وذلك لأن المعري من الكتاب المشهورين بكتابة الرسائل .

ومن الرسائل التي نقلها ياقوت الحموي من العماد في خريدته رسالتان غاية في الروعة والقدرة على الصياغة والثروة اللغوية هما رسالتي الحريري ، واحدة التزم في كل كلمة منها بحرف السين نظما ، وأخرى التزم فيها بحرف الشين في كل كلمة(٢) ، وقد نقلهما ياقوت من الخريدة كما صرح في الترجمة .

وبلغ من أهمية هذه الرسائل أنه كان يتخذها دليلا في الحكم على من يترجم لهم إما بالبلاغة وحسن التصنيف ، أو بالركاكة .

يقول في ترجمته لسليمان بن أبي طالب النهرواني بعد أن نقل رسالة له : " قلت فهذا من هذه الرسالة يدل على أنه كان أديبا ذا مكانة من السلطان ، وتمكن من علو القدر والشان "(٣) .

(١) " معجم الأدباء " : ٥ / ١٩٧٣ ، ترجمة : ٨٤٠ .
(٢) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٢٠٩ – ٢٢١١ ، ترجمة : ٩٠٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ٣ / ١٣٩٢ ، ترجمة : ٥٦٧ .